«وما آفة الأخبار إلا رواتها» من أوراق حازم جواد*: حركة 8 شباط المغدورة بين الحقائق والتشويه (5)

اقترحت على عارف زيارة قاسم لاستقراء معلوماته وحالته الذهنية في تلك الفترة العصيبة من تاريخ العراق تفترض قيم الشهامة والرجولة ان لا يتم الافتراء على عبد السلام عارف... أو علي صالح السعدي

بعد أكثر من أربعين سنة على وقوع حركة شباط المعروفة في التاريخ العراقي (1963) قرر حازم جواد قائد هذه الحركة وأحد الرموز المهمة فيها العودة اليها، خاصة ان ذكراها تحل اليوم، 8 شباط (فبراير)، ووضع النقاط على الحروف. ويقدم جواد عرضا تاريخيا للاحداث وتقييما للشخصيات التي لعبت في هذه الحركة والظروف العراقية والاقليمية. وهي شهادة مهمة لانها تصدر عن واحد من اهم صناع هذه الحركة. وفي هذه الحلقة يواصل جواد كشفه للظروف التي قادت الى حركة الثامن من شباط (فبراير)، الرابع عشر من رمضان، ويتحدث هنا عن تكليف عارف بقيادة الكتيبة كبديل، وتصحيح تناقضات وتزوير الحقيقة التي مارسها البعض، ويتحدث عن دور كتيبة دبابات مدرسة الدروع في ابو غريب.

«القدس العربي»

تكليف عارف بقيادة الكتيبة كبديل

ولسد هذه الثغرة، واعادة تهيئة الكتيبة للتحرك واداء دورها المحدد، ولرفع معنويات اعضاء الحزب في الكتيبة، وتعريفهم بشكل غير مباشر الى ان الحزب يمتلك رصيدا لا ينضب من القيادات العسكرية، اقترحتُ على الرفيق السعدي ان يُبلغ ضباط الكتيبة، بان الحزب قرر تعيين آمر لهم بمستوى رفيع لقيادتهم عند التحرك، لتجاوز صدمة تراجع العقيد الهاشمي. وهذا القائد المقترح هو العقيد عبد السلام عارف الذي كان لاسمه اعتباراً مدوياً، لما عرف به من جرأة وإقدام تثير الاعجاب. كان السبب وراء خلق هذا الانطباع عن بطولته وجرأته هو دوره المميز في تنفيذ ثورة 14 تموز 1958.

ابلغني السيد الرفيق السعدي، بعد ذلك، كيف ان هذا النبأ احدث ما يشبه الرجّة الكهربائية، بما اثاره من بهجة وفرحة وحماس، كانت دليلا على ارتفاع المعنويات وانتفاض الهمم، وكيف دبّت بضباط الكتيبة روح الحميّة والحماس والهمّة، وهم يكادون لا يصدقون ان اسد ومنفذ ثورة 14 تموز، المحاصر في منزله سيكون قائدهم العسكري الذي سيشرف على ويقود حركتهم العسكرية لحظة الحزم والحسم.

قمت بدوري بتبليغ السيد المرحوم عبد السلام عارف بالمهمة، والواجب الجديد الذي حدده الحزب له، واستقبل الرجل هذا التبليغ برحابة صدر، واستعداد مطلق للتفاني في تحقيق اهداف الامة العربية والقضاء على الدكتاتورية في العراق، وهزيمة الحركة الرجعية الانفصالية في دمشق.

وللأمانة اذكر ان عبد السلام عارف لم يسألني، لا عن اسماء الضباط ولا عن رتبهم، ولا حتى عن تفاصيل الخطة، بما يؤشر على حجم الثقة المطلقة له بالحزب وبمنظماته المدنية والعسكرية، وبمسؤوله (كاتب هذه السطور).

كان يمكن لمثل هذه المواقف ان تشكل ردعا للملازم (الفريق فيما بعد) نعمة فارس ليعرف حجم ارتباط عبد السلام بالحزب. لماذا يتظاهر بتذكر تفاصيل أمور دقيقة، ليس لها اهمية وقيمة ولا يتذكر هذه المعلومة التي يفترض أن الرفيق السعدي بلّغها لجميع الاعضاء الحزبيين في الكتيبة وهو منهم، هذا ما يكشف عن ضلوعه متعمداً بالفبركة والتزوير لغاية في نفسه، دفعته للكتابة لتمرير بعض هذه التشويهات، وليس بدافع تصحيح معلومات خاطئة أو الاتيان بشيء جديد يمكن أن تنفع المؤرخ أو المهتم بالشأن العراقي. وتفترض قيم الشهامة والرجولة ان لا يفترى على عبد السلام عارف، ولا على السيد علي صالح السعدي بمثل هذه القصص التي لا شك انها تثير سخرية القارئ المتتبع او الباحث المطلع، عندما يوازن بين موقع ومنزلة عبد السلام عارف بطل وأسد ثورة تموز المجيدة والذي اصبح رجلا له ثقله ووزنه الكبير في التأثير على الاحداث في العراق، وضابط تنحصر معرفته بقلة من زملائه الضباط في وحدته، يتطلع لان يحقق بعض الطموحات الشخصية الصغيرة التي تتناسب مع رتبته وعمره ودوره في الحزب.

مفارقات ذاكرة نعمة وتذكره بدلة قاسم المكوية!

لا يمكن ان نعذر السيد نعمة فارس على اساس اعتبارات طول الفترة الزمنية وما تتركه من اثار على الذاكرة عند الانسان، فنحسبها مجرد هفوة حصلت بتأثير البعد الزمني، لانه يتكلم بطريقة من يمتلك القدرة على استذكار تفاصيل الاحداث بدقة لا تقبل المناقشة، فهو يتذكر مثلا حتى تفاصيل وصف «بدلة» المرحوم قاسم المكوية حديثاً ساعة وصوله لدار الاذاعة، كما ذكر في مقالته.

وعلى اساس هذا الانطباع الذي اراد ان يقدمه للقارئ، نتهمه بالتزوير، او الخضوع لرغبات لا شعورية لتضخيم دور الذات من خلال حسابات ادواره على وزن ادوار رجال وقادة حزبيين وعسكريين من أمثال عبد السلام عارف واحمد حسن البكر، والمسؤول الحزبي الاول حازم جواد.. الخ و هذا لا يعني نكران مشاركة الملازم نعمة فارس المحياوي ضمن مجموعات الصولة الاولى التي خصصت بقيادة العقيد المظلي عبد الكريم نصرت للسيطرة على عرين الديكتاتور في مبنى وزارة الدفاع. ولا يستطيع اي منصف الا أن يلفت نظر القارئ الى واحدة من غرائب الامانة التي يدعيها السيد نعمة فارس وهي اهماله لذكر العقيد المغدور «عبد الكريم مصطفى نصرت»، ربما يكون ذلك بسبب الخوف من قتلة عبد الكريم نصرت الذين قضوا عليه طعناً بالسكاكين وهو يتهيأ للخروج من منزله أو هي محاولة مقصودة لالغاء دور القيادات العسكرية كي تبدو القصة اكثر حبكة أن مشاركة الملازم نعمة فارس وكما يروي في شهادته التي قدمها في كتاب «دبابات رمضان» لا تتجاوز الدقائق المعدودات، فهو كما يذكر انسحب بعد وصول قاسم بدقائق الى وزارة الدفاع بحجة التوجه لاستحضار عتاد احتياطي من القوات المرابطة في دار الاذاعة في الصالحية، اي ان مشاركته الفعلية اذا استخرجنا منها الوقت المطلوب للحركة من ابو غريب الى وزارة الدفاع، واضطرار قائد الحملة عبد الكريم نصرت للالتفاف على موقع وزارة الدفاع من جهة جسر الصرافية تحاشيا للصدام مع المظاهرات التي نظمها الحزب الشيوعي لتأييد عبد الكريم قاسم، فان هذه المشاركة الفعلية او الفعالة للملازم نعمة المحياوي، لا تتجاوز الساعة أو الساعتين على أكثر تقدير، انسحب بعدها من المعركة وقد بدأت تتخذ شكلها الجدي والفعال. ونعتقد ان احد اهم اسباب انسحابه من المعركة هو ما انتفض من الفزع والخوف بداخله وهو يرى استشهاد آمر سريته النقيب كامل النعمة، واعمال السحل وحرق الجثث للضباط والمراتب التي قام بها الشيوعيون امام ثكنة وزارة الدفاع. وعند حساب هذه الفترة الزمنية بحسابات الحدث الذي استمر لليلة ونهار يوم ونصف. الحدث الذي شارك به مئات أو ألوف العسكريين اضافة لالوف المدنيين من الطرفين، تغدو النتيجة وبحسابات الادوار كما قلنا، ان دوره كان من الادوار الثانوية، ولا يمنحه الحق في ان يضع نفسه في قمة الهرم بمستوى مواز للرئيس عبد السلام والبكر، وحازم جواد، بل وحتى علي صالح السعدي الذي حاول ان يتظاهر وكأنه يقف على نفس المستوى معه في المكانة والدرجة الحزبية. ان خلق النبالة والفروسية، والبعثية، كما هي قبل ان يتحول الحزب الى مجرد غطاء للطموحات الشخصية والفردية لبعض قياداته، تتطلب او يفترض ان تلزم الفريق نعمة من التحرج من الهجوم على بطل من ابطال الحركة القومية العربية. فعبد السلام لم يكن طارئاً على حركة شباط (فبراير) بل واحدا من اهم قادتها العسكريين، الذي ادى مهماته المكلف بها بدقة وحرص منذ اللحظات او الساعات الاولى لبدء الحركة وحتى اخر صفحة قتالية فيها وبالتزام وانضباط يكاد أن يكون مثالياً تفوق به على كثير من الحزبيين وهو أسد ثورة تموز (يوليو) المجيدة بلا منازع.

عارف أعد بدلة القتال التموزية وخطاب قاسم الانذاري

بعد التبليغ الذي نقله علي صالح السعدي لضباط الكتيبة، وتبليغي لعبد السلام بهذه المهمة. تمت مناقشة كل التفاصيل المتعلقة بالمهمة، حتى اعداد البدلة العسكرية المطلوب ان يرتديها عند البدء بالحركة، واقترح ان يرسلها لشقيقه عبد السميع صاحب مكوى النعمان في الاعظمية ليقوم بتنظيفها واعدادها.

واختار نفس البدلة التي كان يرتديها يوم نفذ 14 تموز (يوليو)، وكنت انا بنفسي من ذهب لاستلام البدلة من المكوى قبيل الحركة بوقت قصير للاحتفاظ بها عندي منعا لأي شبهة أو قرينة تشير الى استعداداتنا. القى قاسم خطابا ناريا بعد ذلك بيومين في قطعات اللواء التاسع عشر، ليوحي بأن هناك من يأتيه باخبار المتآمرين وبأدق تفاصيلها، ويعرف ماذا يبيتون، واستشهد ببيت شعر لطرفة بن العبد: ويأتيك بالأخبار من لم تزود.

أثار هذا الخطاب توجسنا ومخاوفنا في ان تكون الاخبار التي وصلت لقاسم اكثر مما نتوقع، لذا اعدت البدلة للسيد عبد السميع عارف، شقيق الرئيس عارف، ليحتفظ بها عنده بالمكوى. كما طلبت منه ان يبلغ عبد السلام بتأجيل الحركة، لأيام أو أسابيع قليلة، وان لا يعطي الكثير من الاهتمام لخطاب قاسم، لاني متأكد ان ما ادعاه من معلومات ليس بالحجم الذي يخيف ووضعنا العسكري واستعداداتنا من المتانة والدقة بشكل يبعث على الاطمئنان. لكن الحذر يظل مطلوبا، وهو دافعنا لتأجيل الحركة لاسابيع قادمة.

كما اقترحت على عبد السلام ان يصطنع زيارة لقاسم شخصيا كي يستقرئ منه حجم المعلومات التي ادعى قاسم معرفتها، وردود أفعاله وحالته الذهنية في تلك الايام العصيبة من تاريخ العراق.

لعلّني اسرفت بذكر مثل هذه التفاصيل، التي ارى انها ضرورية لتعريف القارئ بدور عبد السلام عارف وعلاقته بالحزب وحركة 8 شباط (فبراير)، ذلك الدور والعلاقة اللتين تفاعلتا مع الاحداث ليسهما في رسم صفحة مشرقة من صفحات النضال العربي، كان يمكن ان تغير مجرى التاريخ، وتركيبة النظام االدولي، والاصطفاف الاقليمي، لولا الاخطاء والانحرافات التي ارتكبها بعض قادة الحزب في العراق وتآمر القيادة العسكرية السرية في سورية، والتي عكست ما هو كامن من رغبات تسلطية وحب الوصول والبقاء في السلطة على حساب اهداف امتنا، وعلى حساب اهداف الحزب. فكان من اكبر اخطائه ان فشل في تحقيق الوحدة بين الاقطار الثلاثة، واعادة بناء الجمهورية العربية المتحدة وأستطيع الجزم بأن القيادة السورية تآمرت منذ الأيام الاولى لافشال ميثاق 17 نيسان (ابريل) الوحدوي كما سأوضح ذلك في فرصة اخرى. فكان ما كان من تراجع للحركة القومية العربية، وتعثرها في تحقيق اي من اهدافها، بل تراجعت امام الضربات القوية، والمؤامرات الى خططت لها الدوائر الاستعمارية بالتعاون مع الصهيونية العالمية والانظمة الرجعية العربية.

ان هذا التعريف بالعلاقة بين كل من احمد حسن البكر، وعبد السلام عارف، تبدو ضرورية لايضاح دوريهما في الحركة قبل الدخول بتفاصيل تنفيذها الاخرى. اما التعريف بالسيد نعمة فارس فهو ينفع القارئ للتعرف على احدى عمليات التزوير والتشويه الكبرى التي يتعرض لها تاريخ الحركة القومية العربية.

حازم جواد وعلي صالح السعدي

على ان الحديث عن حركة شباط لن يكتمل دون التعريف بالعلاقة بين شخصيتين اخريتين، لعبتا ادواراً مهمة في التخطيط والاعداد لحركة 8 شباط 1963، والتي لا يكتمل الحديث عنها دون التعرف على أدوارهما فيها، (هما حازم جواد كاتب هذه السطور) والسيد علي صالح السعدي. والعلاقة التنظيمية فيما بينها. لان مقالة السيد فارس توحي ايضا بان هناك صراعا او خلافا بينهما منذ الساعة العاشرة من مساء الثامن من شباط (فبراير)، كما اكتشف الملازم فارس بنفسه من خلال تنصته على باب مقر القيادة في دار محطة الاذاعة في الصالحية، مع أنه لم يكن ـ الملازم نعمة ـ موجوداً هناك أصلا كما يفيد هو نفسه في روايته لعلي خيون التي نفى فيها «وجوده اللاموجود». ونحن نأخذ بروايته هذه للكاتب علي خيون لأنه قدمها وهو في مركز القوة، يمتلك القدرة على منع نشر الكتاب أو الاعتراض عليه والزامه بالاعتذار او اية خطوة من هذا النوع وهذا ما سيكون موضوع الفصول القادمة.

حازم جواد

كتيبة دبابات مدرسة الدروع

تحدثنا عن الدور الرائد لكتيبة الدبابات الرابعة في الاعداد والتنفيذ للحركة، الا ان الحديث عن مساهمة سلاح الدبابات في تنفيذ الحركة لا يكتمل بدون ذكر مساهمات كتيبة دبابات مدرسة الدروع في ابي غريب.

بعد استدعاء العقيد خالد مكي الهاشمي من قبل عبد الكريم قاسم، كما مر ذكره في اعلاه، وخلال بحثنا عن توازنات الوضع العسكري في ابي غريب، وامكانية تدخل بعض الوحدات العسكرية للدفاع عن نظام قاسم، تعرفنا على وجود كتيبة دبابات اخرى تتخذ من ابي غريب مقراً لها، ومقرها غير بعيد عن مقر كتيبة الدبابات الرابعة، وهي كتيبة دبابات مدرسة الدروع، الخاصة بتدريب الخريجين الجدد من الضباط والمراتب على سلاح الدبابات. وكان لنا في المدرسة تنظيم عسكري لا يقل اهمية عن تنظيم كتيبة الدبابات الرابعة.

قدم العقيد ذياب العلكاوي معلومات عن تنظيم المدرسة، الذي كان يرتكز على نشاطات الضابطين: الرائد احمد الجبوري، والملازم الاول حميد محمد التكريتي. اقترح العقيد العلكاوي تنظيم لقاء بهذين الضابطين، وفعلاً تم ترتيبه في دار الرائد احمد الجبوري، الكائن في منطقة الجعيفر بجانب الكرخ، واصطحبت معي السيد احمد حسن البكر لحضور هذا اللقاء الذي تكرر لثلاث او اربع مرات. اكتشفت والبكر أن هناك إمكانية كبيرة يمكن الاستفادة منها في هذه الكتيبة، يمكن أن نتجاوز بها حالة التخلخل التي نشأت بفعل الشكوك التي انتابت قاسم من كتيبة الدبابات الرابعة، بل اكتشفنا أنه يمكن الاعتماد على هذه الكتيبة اكثر حتى من الاعتماد على كتيبة الدبابات الرابعة، فهذه الكتيبة جاهزة للتحرك في أي وقت كان، وأي يوم، لان مهمة المدرسة كانت تدريب مجموعات الاطقم الجديدة على قيادة الدبابة، وتعبئتها في المعركة. ولذلك فان دبابات المدرسة كانت تخرج من المدرسة الى خارج المعسكر، وتعود في المساء، والاكثر من هذا وكما اخبرنا الرائد أحمد الجبوري بأن هناك امكانية لابقاء بعض الدبابات على الطريق العام خارج المدرسة تحت غطاء التدريب الليلي، ودون أن يثير ذلك أية شبهة.

كان الرائد احمد الجبوري، مثالاً للشاب الثوري المتحمس، الذي اراد ان يبرهن لنا امكانية تنفيذ ما قاله على الارض، واثبات مصداقية كلامه، واستعداده، واختبار نوايا مراتبه و ضباطه المتدربين، فقال انه سيبدأ من الغد في إخراج الدبابات ووضعها جاهزة على جانبي طريق «أبو غريب» بعد انتهاء دروس التدريب.

اعطيته موافقتي الفورية على فعل ذلك، وأيدني المرحوم البكر، بهدف اختبار اهلية الكتيبة واستعدادها، ووضع خطة بديلة، للاستغناء عن الكتيبة الرابعة. وبالفعل خرجت والبكر، وعبد الستار عبد اللطيف، في عصر اليوم التالي، لاستطلاع الوضع. وشاهدنا فعلاً ستة دبابات في وضعية القتال تنتشر على الجانب الايمن من الطريق وطلبنا من الرائد احمد الجبوري، أن يستمر على تكرار العملية بشكل يومي، من اجل ضمان تحريك هذه الدبابات عند الاستقرار على تحديد ساعة الصفر. ونفذ الرائد احمد الجبوري الممارسة بشكل يومي.

لفت نظرنا أمر مثير للنكتة، ففي اليوم التالي وصلتنا تقارير من بعض الضباط البعثيين، تشير الى أن قاسم اتخذ بعض الاجراءات لاحباط اية محاولة للتحرك ضده، بوضعه مجموعة من الدبابات الجاهزة لاحباط اي تحرك ضده يمكن ان ينطلق من ابو غريب. أوحت هذه التقارير لنا بفكرة الترويج بين الوحدات العسكرية بأن هذه الدبابات تعود للجماعات الموالية لقاسم، وهي جاهزة للتحرك ضدنا.

اعطت هذه الاشاعة نتائجها الايجابية بالايحاء لقاسم بأن هناك قطعات جاهزة للدفاع عنه وإبعاد الشبهات عن نشاط الحزب.

المشير عامر مع طالب شبيب وحازم جواد في قصر القبة

عارف في الوسط وعن يمينه امين هويدي، حازم جواد، صالح عماش، عبد الستار عبد اللطيف، وعن يساره طاهر يحيى، فيصل خيزران، خالد الهاشمي

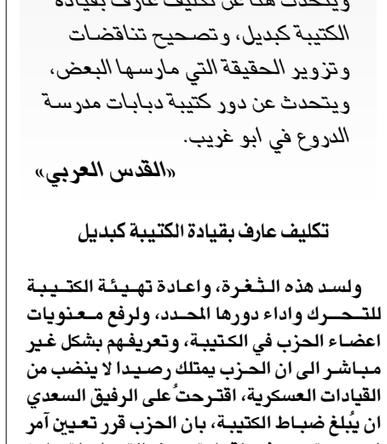

العقيد ذياب العلكاوي

كان يمكن لحركة 8 شباط (فبراير) تغيير مسار النضال العربي وتركيبة النظام الدولي لولا الاخطاء والانحرافات التي ارتكبها بعض قادة الحزب في العراق وتآمر القيادة العسكرية السرية في سورية التي عكست رغبات تسلطية وحب الوصول والبقاء في السلطة على حساب اهداف أمتنا.... وعلى حساب اهداف الحزب...

* أمين سر القيادة القطرية الأسبق ورئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة الأسبق